Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لأصول الفن الأدبى، وحسبنا فى هذا أن نقرأ ما ورد عند ابن رشيق تحت عنوان «من رفعة الشعر ومن وضعه»(١) لندرك أن بعض الأحكام التى وردت فى هذا الباب إنما خضعت لدى النقاد لمعيار عرفى أو قناعات خاصة. ونقرأ كذلك فى كتب الموازنات جملة من الأحكام ربما صدر فيها الناقد (المتلقى) عن طبيعة العلاقة بينه وبين صاحب النص. ويكفى فى هذا أن نشير - على سبيل المثال - إلى ما ذكره الآمدى من أن ابن الأعرابى كان شديد التعصب على أبى تمام، فلما أنشد يوما أبياتا من شعره، وهو لا يعلم قائلها استحسنها وأمر بكتبها، فلما عرف أنه قائلها أمر بتخريقها»(٢).

ومناط المشكلة فى التعامل مع النص وصاحبه بهذا الفهم فى أن الذين قادوا حركة الفكر النقدى آنذاك كان أكثرهم من علماء اللغة وأقلهم من الأدباء. ولعل الجاحظ كان أكثر أقرانه ومعاصريه إدراكا لطبيعة المشكلة، وإحساسا لوقعها فى حركة النقد، فتراه ينبه إليها بقوله : «طلبت علم الشعر عند الأصمعى فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبى عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب. . .»(٣).

والجاحظ بهذا يشير إلى طبيعة المرحلة التى مر بها الفكر النقدى إذ ذاك، وأن التعامل مع الفن الشعرى يتطلب خبرة أدبية خاصة، وأن يكون المتلقى والأديب كلاهما من أهل الفكر والروية.

وتلك مسألة شغلت الجاحظ فى مواضع متعددة من كتاباته. فعنده لا تحصل لذة الظفر بالغاية إلا بعد إجالة النظر ومداومة قرع الباب. ويحكى عنه عبد القاهر مستشهدا بقوله فى فضيلة الفكر والنظر : «وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة، ولذة السبع بلطم الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء، ومن انفتاح باب العلم

(١) العمدة ١ / ٤٠ وما بعدها .

(٢) الموازنة بين أبى تمام والبحترى ص ٢١ تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

(٣) العمدة ٢ / ١٠٥.